١١٤

8

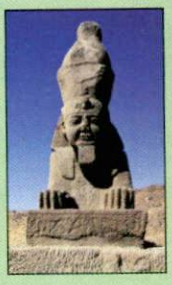

سلسلة مصر الحضارة

السلام فى مصر الفرعونية

بقلم

بسام الشماع

دار المعارف

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الشماع ، بسام

السلام فى مصر الفرعونية / بسام الشماع ؛

القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦.

٣٨ ص ؛ ٢٤ سم — (سلسلة مصر الحضارة ؛ ٨)

تدمك : ٥ — ٦٩٨٧ — ٠٢ — ٩٧٧

١ — مصر القديمة - تاريخ

(أ) العنوان

ديوى ٩٣٢

رقم الإيداع ١٨٨٣٥ / ٢٠٠٦ ٧/٢٠٠٦/١٥

تصميم الغلاف و الإخراج الفنى :

منال بدران

تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج . م . ع .

هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

● لفظ السلام فى النصوص المقدسة فى مصر الفرعونية :

ظهرَ اسْتخْدَامُ لفظِ السّلاَم، فِى النّصوصِ المقدّسَة الفرْعُونيّة، المسمّاةِ بنصُوص (الأهرام). والّتِى تكمنُ أهميتُهَا، فِى أنهَا أقدمُ متُونٍ دينيّةٍ منْحُوتة عَلى جُدرَان غُرفَةِ الدفْن، دَاخل هَرَم (أونَاس) أو (ونيس) آخر ملُوكِ الأُسرَةِ الخَامِسَة، وأيضًا أهرَامَاتُ ملُوكِ الأُسرةِ السَّادسةِ (تتى) و (ببى الأول) و(مرن – رع) و (ببى الثانى)، وكذلكَ أهرامَاتُ الملكَات (ودبتن) و(ونت) و(إيبون) زوجات الملك (ببى الثانى)، وهرمُ الملكَةِ (عنخ–سن) زوجة الملك (ببى الأول). وَهِىَ نصوصٌ منحوتَةٌ، وبعضُهَا ملونٌ عَلَى شكلِ أعمدَةٍ طُوليّة. فقد تميّزَ هَرَمُ (ببى الثانى)، بأَنَّ بِهِ أكبرَ عَدَدٍ منْ مُتُونٍ وفصُولِ الأهرَام، والّتِى بلغَتْ ٥٧٦ فصلاً. فَفِى المَتْنِ رقم (٤٤) ذُكِرَ أولُ وأقدمُ لفظٍ للسَّلاَم. يقول المتْنُ:

(السَّلامُ لكَ يَا (رع) فِى السمَاءِ إنه يُرْضِى السَّيديْنِ مِنْ أَجْلكَ.. السَّلامُ لكَ أَيهَا اللَّيلُ.. السلامُ لكُمَا أيتهَا السيدَتَانِ، السلاَمُ هُوَ مَا يقدِّمُ إليْكَ.. السلامُ هُوَ ما تراهُ.. السلاَمُ هُوَ مَا تَسْمعه.. السلامُ أمامَكَ، والسلامُ إثرك، السلامُ نَسِيبُكَ).

ومنْ هنَا يظهرُ أنَّ السلامَ هُوَ الغايةُ والهدَفُ وَالتَّحِيّة والمرَاد وَالاحترَامُ والتَّبْجِيل.

ويؤكدُ المصرِىُّ القدِيمُ أهميَّةَ السَّلام، حتَّى للأربَابِ المقدسَةِ الَّتِى ذكرهَا الكَهنةُ، فَفِى المَتْنِ (٨١) يقولُ للملكِ:

(تستيقظُ فِى سَلاَم. لعلَّ (تائيت) تستيقظُ فِى سلام، لعلَّ عينَ (حور) الّتِى فى (دب) فِى سَلاَمٍ، لعلَّ عينَ (حور) الّتِى فِى قُصُورِ تَاج (نت) تستيقظُ فِى سَلاَم).

كلُّ هذِهِ الصَّلوَات والأُمْنيَات، لَهىَ دَليلٌ قاطعٌ عَلَى أنَّ الحياةَ مَا بعدَ الموتِ، تكُونُ كَاملةً لاَ ينقصُهَا أىُّ سببٍ مِنْ أسبَابِ السّعادةِ والاستقْرَارِ الدائميْنِ بالنسبَةِ للمبْعُوث، وذلكَ عندمَا تتّصِفُ بالسَّلاَم.

(١) لفظ حقول الفردوس بالهيروغليفية.

وكانَ اعتقادُ المصرِىِّ القديم أنَّ الحياةَ الأبديَّةَ المُسالِمَةَ، هِىَ الصِّفةُ الغالبةُ فِى حُقولِ (إيارو)، وهِىَ حُقولُ الفِرْدَوْس فتقُولُ (نوت) وَهِىَ ربَّةُ السمَاءِ الفرعُونيَّةِ فِى المَتنِ (٤٨٤): (أنَا العَظِيمةُ الَّتِى تصعَدُ إلَى السَّمَاء.. فِى سَلاَم، تقولُ هِىَ، ابْنى المَلكُ جاءَ فِى سلام، تقولُ هى « نوت »).[١]

وقَدْ أطلقَ الكهنةُ الكَاتبينَ لتلكَ المتُون كلمة (السّلام) عَلَى الشخْصِيَّات المقدَّسَة، فمثلاً فِى المَتْنِ (٥٦٩) يقولُ: [أنَا أعرِف اسمَكَ، ولسْتُ جاهلاً

(١) هذه هى الترجمة الحَرْفية الدقيقة للنص الذى لا يمكن التدخل فيه . .

باسْمكَ، اسمكَ الّذى بِلاَ حُدُودٍ.. واسمُ أبيكَ أنتَ عظيمٌ، واسمُ أُمِّكَ: (السَّلام)].

وَقَدْ عاشَ هذَا الاسمُ فِى تُراثنا، فنجدُ أسماء (سَلامة) و(سَلْمى) كأسماءَ مُؤنثة و(سَلَّام) و(سَالم) و(سَلِيم) كأسماء مُذكّرَة.

● سمات الشخصية المسالمة لدى المصرى القديم :

مِنْ أهمِّ السِّماتِ الشَّخصيّةِ للمصرىِّ القديم، إبّانَ حكْمِ فَراعنة الأُسرَات هِىَ السَّلام. السلامُ معَ النفسِ ومعَ الآخَرينَ. فَنجدهُ دائمًا وأبدًا مَا يذكرُ لفظَ السلام بمَعَانيهِ الشَّاملةِ، فِى نُصوصِهِ الدينيَّةِ المقدسَةِ، وتَرانيم الصَّلَواتِ والابتهَالاتِ المَعْبديَّةِ. ورغمَ أنَّ تلكَ الأزمنةِ كانتْ مَليئةً بالحروبِ، وفرْضِ السُّلطةِ بالقوةِ؛ إلاَّ أنّه كانَ دائمًا يُفرضُ السَّلام بعدَ الانتصَارِ، وبالتَّالى كانَ السلامُ يأْتى قويًا ومُؤثرًا. فكانَ سلامًا وليسَ اسْتِسْلامًا.

كانَ المصرىُّ القديمُ يتّصفُ بصفَاءِ الرُّوحِ، وسلامَةِ السَّريرةِ والهنَاءِ الدَّاخلىِّ. وَقَدْ وهَبهُ الله – سبحَانه وتعَالى – أرضَ مصرَ وَسمائِهَا، وَهىَ مساحاتٌ شَاسعةٌ مِنَ الصَّحراءِ والخُضْرةِ والمَاءِ، كُلُّ هذِه الهباتِ أثّرتْ فِى العامِلِ النَّفْسىِّ للإنسَانِ المُتدبِّرِ، فَجعلتْـه يتأمـلُّ دونَ ملـلٍ فِيمَا حولَهُ مِنْ خلْـقٍ، ويفتخرُ بلاَ غُرورٍ بوطَنِهِ، والإقبالِ عَلَى تقديرِ بَلَده، والدفاعِ عنهَا، والتَّضحيَةِ مِنْ أجْلهَا. فكانَ عندمَا ينتصرُ فِى معركَةٍ، لمْ يكنْ يَعْتبرُ هَذَا النَّصرَ إلاَّ طريقٌ لإرسَـاءِ السَّـلام والهدُوءِ فِى المَنْطقَة. وَيذكرُ (آنى) الحَكِيمُ فى بَرْدِيَّتِه الشَّهيرَة عِبَارة (الظَّافر فِى سَلام)، أىْ أنَّهُ سلامُ المُنْتَصِرينَ.

وفى بعض النصوص، كانَ يؤكِّدُ المصرىُّ القديمُ، أنَّ الأرضَ المِصْريَّةَ تُهَلِّلُ للسَّلام، كما وَرَدَ ذلكَ فِى النصِّ القَديم: (.. بينما كانَ الشرقُ والغربُ يَصِيحانِ ويرقُصانِ قائليْنِ: مرحبًا وسلامًا، السَّلامُ لـ (كائك)[1] لِكَىْ تعودَ الحياةُ إلى القطريْنِ.. ومَنْ كانتْ قُلوبهم تميلُ فى السَّابقِ إلى الحرْبِ تحوَّلُوا الآنَ إلى التَّهْليلِ).

ورغمَ وجُودِ الكثيرِ منَ العنفِ فى تلكَ الأزْمنةِ، الَّذى كانَ يلزَمُ لبِناءِ الإمْبراطُوريَّاتِ، إلاَّ أنَّ المصْرىَّ الَّذى كانَ فاتحًا قويًّا كانَ يُفضِّلُ السَّلامَ عَلى الحرْبِ.

ففى زَمنٍ كانَ المنتصرُ (يَعْدِمُ) وَيْقتُلُ كلَّ من يُقابلُهُ مِنْ قِبَلِ عدُوِّهِ، وكانتِ الإبادةُ الجماعيَّةُ لأجْناسٍ مُعينةٍ ليسَ أمرًا غريبًا عَلى الحضاراتِ الأُخْرى، كانَ المصْرىُّ القديمُ ينجحُ فى فَرْضِ الدُّبلُوماسيَّةِ كحَلٍّ، ويضعَ قوانينًا ضدَّ المذابحِ والعُبُوديَّةِ، الَّتى كانت لا تَخْضَع لِلْقوانين.

وابتكرَ قانُونَ حُقوقِ الإنسانِ، وصَدَّرهُ لِلْحضاراتِ الأُخْرى. فتمصَّرت قوانينَ الحضارةِ اليُونانيّةِ والرُّومانيةِ وغيرهما.

ومِنْ أهمِّ قوانين مِصْرَ القديمةِ، حقُّ الإنسانِ فى حياةٍ سلميَّةٍ مُحترمةٍ سعيدةٍ، وعدمُ تقْديم قَرابين بَشريَّةٍ، (وكانتْ هذه هِىَ العادةُ فِى الأغْلبيَّةِ العظمَى مِنَ الحضاراتِ الموجُودةِ آنذاك، مثلِ حضارةِ الدولةِ الآشُوريَّةِ وحضارةِ الأزْتك)؛ والَّذى يَدْعُو للفخْرِ، أنَّ العبدَ فِى مصْرَ القديمةِ، كان يتمتَّعُ بحالةٍ مَدنيَّةٍ رسْميَّةٍ، فَلَهُ الحقُّ فِى مِلْكيّةِ العقاراتِ والأثاثِ والفضَّةِ

---

(١) « كائك »: الـ « كا » هى القرين عند المصرى القديم .
« ئك » : تعنى ضمير المخاطب أى أن الكلمة كلها تعنى (قرينك)

والـزّوَاجِ للجِنْسـيْنِ. وإذَا كانَ هذَا الـزواجُ مِنْ حُرٍّ أو حُرّةٍ، فـإنَّ ذلكَ الزَّوَاج يتبعـهُ تحْريرُ الطَّرفِ الآخرِ الواقعِ تحـتَ العُبُوديّة. ومنْ هُنَا نجدُ أنَّ علاقةَ السيدِ بمرؤوسِـيهِ، وعلاقةَ الحاكمِ بشـعبِهِ، كانتْ تتصفُ بالعدلِ والسَّلام، ويقولُ المثلُ المصرىُّ القديمُ: (لِكُرسِّى الحاكمِ العادلِ شَـيْئَانِ يَسْتَنِدُ عَليهِمَا: الحِكمةُ والرَّحْمة).

• أناشيد السلام:

وعَلـى جدرَانِ المعابـدِ والمقَابرِ، ترى حالةَ السـلامِ المُتَنَاهـى عَلى وُجوهِ الشَّـخْصيَّاتِ العَاديّةِ والأربابِ الفرعُونيَّةِ عَلَى حدٍّ سوَاء، فالوجوهُ هَادئةٌ وهُم يمسـكُونَ بورُودِ اللُّوتس، وأنَاملُهُم تداعبُ آلةَ الهاربِ المُوسـيقيَّةِ وينفخُونَ فِى المزمَارِ والنَّاى، ينشُـدونَ أهَازيجَ السَّـلام. ومِنْ هَذِه الأناشيدِ ذلكَ النَّشيدُ الَّذِى يُلقى بالضَّوءِ على الشَّخْصيَّةِ المصريَّةِ، مُبينًا مَدَى حُبِّهَا للسَّلامِ والسَّعَادةِ حيثُ يقولُ الشَّـاعرِ فيهِ: (.. يَالهُ منْ أمرٍ لطيفٍ، أنْ نجلسَ ونتبادلَ أطرافَ الحَديـثِ. آه ! وأنْ نَسيرَ بخُطى واسـعةً عَلَى الطَّريـقِ دُونَ خوفٍ يُلازمُ قلبَ البشَـرِ. لَقَدْ هُجرت القلاعُ، وأُعيدَ فتحُ الآبار.. وتُركتْ ماشيةُ الحقولِ ترعَى فِى حريّةٍ دونَ راعٍ، لا نداءَ ولا صيْحَات فِى اللَّيل.. ويسيرُ الناسُ وهُم يتغنُّونَ، ولم يَعُد المرءُ يسمعُ صيحَاتِ النُّوَاح.. والَّذِى يحرثُ منْ أجلِ الحصَادِ سيأْكُلُه). وَفِى فقرةٍ أُخْرى فِى نشـيدِ السَّلامِ للمَلك (ميرينبتاح) وهُو الابنُ الثالثُ عشرَ للمَلكِ (رمسـيس الثانى) يقولُ: (كلُّ البلدانِ تَوحّدت وسادَهَا السَّلام)، وكانَ هذَا بعدَ سلسـلةٍ مِنَ الانتصَارَاتِ أحرزَهَا المَلِك. والعبَارةُ تُثبتُ أنَّه حتَّى فتْحِ

البلـدانِ الأُخرى، كانَ من أجْـلِ رَدْعِ عُدْوانِ العدوِّ وحمايَةِ البلادِ، والشَّـعبِ الآمنِ. فالملكُ (ميرينبتاح) يفتخِرُ بذلكَ فِى نَشِيده فيقولُ (هُوَ الثورُ الذِى يطردُ السـحابَ الّذِى كانَ فوقَ مصرَ؛ ليتيحَ للبلدِ المحْبوبِ - يقصِدُ هنَا مِصْر - أَنْ يرَى أشـعةَ قُرْصِ الشَّمْس) وَهَذِه العبارةُ تَوارثتهَا الأَجْيالُ المصريةُ بعدَ ذلكَ، فأصبحَتْ مثلاً: (سحابةُ صَيْفٍ وسوفَ تَمرُّ).

• علاقة المصرى القديم بالأجانب:

وبينَمَا كَانتِ القرابينُ البشـريّةُ تُقدّم عَلى المذابحِ، وتُقتلُ بطريقَةٍ بشـعَةٍ فِـى حضَارةِ (الأزتـك)، الّتِى كَانت موجُودة عَلى الجانـبِ الآخرِ مِنَ المحيطِ

(٢) الأجانب يتمتعون بالسلام فى مصر.

الأطلنطى، كانَ الأجْنبىُّ الَّذى يعيشُ فِى كَنَفِ المصرىِّ القديم بالدِّلتا، يتمتَّعُ بالحريَّـة وَالسَّـلام. إنَّ بعضَ الأجانبِ كانَ يتمُّ اختيارهُـم لتعلُّم المصريَّةِ فِى قُصـور الملوكِ، حيثُ يترعْرَعونَ فِى رُبوعِ أنهارِهَـا وَيتثقَّفُونَ، حَتَّى يُصبِحُوا جزءًا لا يتجزَّأ منَ النَّسـيجِ الاجتماعِىِّ للأُسـرةِ المصريَّة. فمثلاً تجدُ اللِّيبيينَ مِنْ ذَوى البشرةِ الفاتحةِ، والشَّعْر الأشقرِ، يعيشُونَ فِى الدِّلتا، ونجدُ أميراتٍ حَيْثيَّاتٍ يُجْلبْنَ إلى مصرَ بمُوجبِ اتفاقيَّات دُبلُوماسـيّة خصِّيصًا ليتزوَّجْنَ مِنَ الملِكِ. مثلَمَـا حدَثَ فِى أيَّام (أمونحتب الثالث) (وَملك بابل)، و(رمسـيس الثانـى) و(الحِيثيِّينَ) وهُـوَ المتعارفُ عليْهِ الآن، بالزَّواجُ الدُّبلُوماسِـى. وَقدِ اتبعَ (الإسكندر الثالث المقدونى) ذلكَ التقليدَ، فتزوَّجَ مِنْ أعدائِهِ الفُرس امرأةً تُسَـمَّى (روكسان)، وشـجَّعَ جنودَهُ عَلىَ الزَّواجِ مِنَ الفارسِـيّاتِ أملاً أنْ يكونَ الجِيلُ الجديدُ هُوَ خليطٌ مِنَ الجِنْسـيتيْنِ، ومِنْ هنَا يتأتَّى السـلامُ والوئامُ بينَ الحضَارتيْنِ المتناحِرَتيْنِ.

وهنَا تحضرُنِى نصيحَةُ الحكيم الفرعُونى (بتاح حوتب) حيثُ يقولُ: (..اعمَلْ عَلَى أنْ يعيشَ النَاسُ فِى سَـلاَم. وسـوفَ يمنحُونـكَ مَا تُريدَ عَنْ طيـبِ خَاطِر). وهُوَ هُنَا يُؤكدُ أنَّ ثمارَ السَّـلام، سـوفَ تأتِى لاَ محَالةَ إذَا تمَّ إرسَـاءُ قواعِد سِـلْميَّة. وَنظرةً وَاحِدةً لتلكَ المناظِرِ المنْحُوتَةِ عَلَى جُدرانِ مَعَابـد مصرَ القديمةِ، مثلَ (الكَرْنك) و(أبيدوس) و(الرمسـيوم) و(مدينة هابو) و(معبد حتشبسـوت) وغيرها، تؤكِّدُ لكَ حبَّ المصرىِّ القديم للسَّلام والوئام. فالشـخصيَّاتُ المنقُورةُ عَلى الحجرِ دائمًا سعيدةٌ والوجوهُ مُضيئة،

والابتسامَة الهادئةُ لا تَبْرحُ الشِّفاه، أيضًا تَجِدُهم يتبادلُونَ التحيّةَ والعِنَاقَ، مُتَقَاربينَ، غيرُ مُتباعِدينَ.

• معتقدات مرتبطة بالسلام لدى المصرى القديم :

السلام والعدالة :

آمـنَ المصرىُّ أنَّ السَّـلامَ والعدالَةَ وَجْهَانِ لعمْلَةٍ وَاحِـدَةٍ، فجعَل (ماعت) تجسِـيدٌ للحقِّ والعدالَةِ والنظَامِ الكوْنِىِّ، إذنْ فَهِىَ الأَسَـاسُ الَّذِى خُلِق عَلَيْهِ العَـالمُ. وكانتْ (ماعت) حَسَـب الاعتقَادِ الفِرْعُونىِّ هِـىَ ابنَةُ (رع)، وكانتْ تُصَورُ عَلَى هيئَةِ امرأةٍ، عَلَى رأسِـهَا ريشَة نَعَام. وقدْ جَاءَتْ (ماعت) لترْسِى قواعِدَ السَّـلامِ والهـدُوءِ، بعدَ مَا كانَ الكونُ عبارةٌ عَـنْ مجموعةٍ مِنَ الكوارِثِ وَالاضطرَابَات. وَيُسَاعدهَا فِى هَذَا - حسبُ الأُسْطُورةِ الفرعُونيّةِ - (ونج) وَهُوَ ابن (رع) الَّذِى يبدِّدُ قُوى الفَوْضَى ليحلَّ محلَّهَا السَّلام.

السلام والرخاء :

عقدَ المصرىُّ القدِيمُ علاقَةً وَطيدةً بينَ السلام والرخَاءِ، وَجعَلهمَا مِنْ سِمَاتِ الرَّبِّ (بتاح)، وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِى فِى اعتقادِ المصرىِّ القديم أنهُ قَدْ وُلدَتْ فكرةُ خلْقِ العالمِ فِى قَلْبِهِ، ونطقهَا لِسَـانُهُ. وبالفعلِ جَـاءَ الرخَاءُ إلَى الأَرَاضِى المصْرِيَّةِ، عندمَا اسْتقرَّ المصرىُّ عَلَى ضِفَافِ النيلِ، وشَعَرَ بالأَمَانِ. الأمرُ الَّذِى سهَّلَ لَهُ بناءَ بيتٍ يأْوِى إليْهِ، واسْـتصلاحِ أَرْضٍ للزراعَةِ، وتربيةِ بعضِ المَوَاشِى للاستفَادةِ منْهَا فِى حيَاتِهِ. وتعلَّمَ منْ جرَّاءِ كُلِّ هذَا، أنَّهُ لا رخَاءَ بدُونَ اسْتقرَارٍ وَلا استقرارَ بدونِ سَلامٍ.

• السلام والرحلة المقدسة إلى الحياة الأبدية:

إنَّ الشَّخصيَّةَ المِصْريَّةَ، هِيَ أولُ مَنْ آثرَ السَّلامَ، وأكَّدَ أهميتَهُ فِي طريقَةِ حَياته وَدِيانته، وحتَّى فِي إيمَانِه بالحياةِ الأبديَّةِ عبْرَ الرحْلةِ المقدَّسةِ الَّتى كانَ يبْحَرُ فيها المُتوفَّى حتَّى يصلَ إلَى مُنْتَهى غَايتِهِ، الَّتى كانتْ يجبُ أنْ تتمَّ بِسَلام. وكانَ الاعتقادُ أنَّ المتوفَّى وَالأرْبَابَ، يستخدمُونَ زَوْرَقًا يبحرُ بِهِم عبْرَ نَهْرِ النيلِ السمَائِيِّ المَليءِ بالنُّجومِ بدلَ المياهِ، والَّذى يأملُ المتوفَّى أنْ يكونَ إحداهَا.

وفِى كتابِ (المَوْتَى) أو (الفصول المقدسة للظهور فى النهار) أو كَمَا أطلقَ عليه المصرىُّ القديمُ فِى الكتابةِ الهيرُوغْليفية (رونو برت إيم هرو). وقد أكَّدَ (آنى الحَكِيم) و(الكاتبِ المَلَكى، ومديرَ مخازنِ الغلالِ، ومحاسِبِ العوائدِ المقدسة) فِى بَرْديته الشهيرةِ الموجودةِ الآن فى المُتْحَفِ البريطانى، فِى الفصلِ الخامسِ عشرَ فِى النصِّ الأولِ حيثُ توجدُ عبارةٌ تقولُ: (.. وغمرَتْ أشعتُكَ المُضيئةُ جَسَدِى يَا مَنْ تنسَابُ بِسَلامٍ فِى زَوْرقٍ (مسكتت) مَعَ الريحِ الهادئةِ، وقلبكَ مفْعَمٌ بالسُّرُور.

وقالَ أيضًا: (إنكَ تمتَطِى السَمَاوَاتِ فِى سَلام..). وَفِى نفسِ البرديَّةِ فِى الفصْلِ (١١٠) يقولُ النصُّ القديمُ: (لِتكنْ فِى سلامٍ فِى حقولِ السَّلام «سخت حتب» ولتمْلأْ بالهوَاءِ أنفكَ).

وقَدْ أَثَّرتْ ثقافةُ السَّلام عندَ المصرىِّ القديم فِى المسميَاتِ المستخدمَةِ لديْهِ، فَنَجده يطلقُ اسمَ السلام عَلَى الأشياءِ والأماكنِ ذاتِ القدسيّةِ الشّديدةِ فِى الرحلَةِ المقدَّسة بالعالم الآخرِ مثلَ «بحيْرَةِ السَّلامَ»، و«مدينَةِ السَّلام» الَّذى كانَ يتَصوّرُ المصرىُّ القديمُ أنهمَا موجُودتَانِ.

• السلام والأرباب الفرعونية المقدسة:

ويظهرُ السلام جليًّا فى حالةِ المُسالمة، والوجْهِ الطيِّب، فِى كلِّ مناظرِ الأربَابِ الفرعُونيَّةِ، المنْحُوتةِ عَلَى جدْرانِ مَقابرهِم ومعَابدِهم. وحتَّى الأربَاب الفرْعُونية التِى كانتْ مَسْئُولةً عَنْ إلقَاءِ الرعْبِ فِى قُلوبِ الأعداءِ، وجلْبِ الكَوارثِ عَلَى شكْلِ الرعْدِ والبرْقِ والعواصِفِ والجفَافِ وغيرهَا، كانَ شكلهَا جميلٌ ومُسَالم لأَقْصَى حدٍّ. انظر إلى (سخمت) اللَّبؤة المسئُولةِ عن الحرْبِ والنزَاعِ والقتالِ، كانتْ عَلَى شكْلِ جسَدِ امرأةٍ جميلةٍ يعْتَليهِ رأْسُ أُنثى الأَسَد، ولَوْ قارنْتَ هَذَا الشكلَ بحضَاراتٍ أُخرى، تجدُ أَنَّ أربَابَ الحَربِ والرعبِ عندهَا، فَاغرِى الأفواهِ، ولَهُمْ أنيابٌ حَادَّةٌ كبيرَةٌ مُغطّاة بلونِ الدَّمِ الأَحْمر، شَكْلُهم مُنفِّرٌ ومُرْعِب.. بَلْ إنَّ (سخت) رَبُّ الكوارثِ والشَّرِّ (عند بعض الأثريينَ)، كانَ عَلى شكلِ حمَارٍ، أوْ آكلِ النملِ، أوْ فرسِ النهرِ، أو الكلْبِ، وهِىَ كلُّهَا حيوانَاتٌ ليستْ مفترسةً أَوْ بهَا صفةُ الإرهَابِ أَوِ القُبح. حتَّى إنَّ ألدَّ خصومِ مصرَ ألاَ وهُم الهكسُوسُ، إبَّانَ الأُسرةِ الخامسَةِ عَشْرَة قَدْ أدْمجُوا الرَّبَّيْنِ المصرىِّ المحلىِّ والكنْعَانِىِّ اللَّذَيْنِ كَانَا يرمزُ إليْهِمَا بالحمَارِ

المقدَّس؛ لأنَّ مصرَ بشخْصيتهَا الهَادئةِ المسالمَةِ، كانت تحتلُّ قلْبَ وعقْلَ ومعتقدَاتِ الغَازِى، وليسَ العكسُ، رغْمَ استمرَارِ حكْمِ الهكْسُوسِ لمصرَ مَا يقربُ مِنْ مَائةِ عامٍ (١٦٥٠-١٥٣٩) قبلَ الميلادِ.

وكانَ السَّلامُ للمصْرِىِّ، هوَ النَّمطُ الحيَاتِىُّ، الَّذِى سوفَ تصبحُ بِه الحياةُ ثابتةً وهادئةً ومُستقرّةً ومُنْضبطَةً، تتمَاشَى معَ السلوكِ القويمِ حتَّى إنَّ (رمسيس الثانى) قَدْ وضعَ الخصْميْنِ الأبدِيّيْنِ (حورس) و(ست) فِى مَنْظرٍ واحدٍ فِى معبدِ أَبِى سُمبلٍ الصّغيرِ لطرحِ فكرةِ الصُّلحِ بينهُمَا، وبينَ الكَهنَةِ المسْئُولينَ عنهمَا.

المعاهدات السلمية:

إنَّ أكبرَ دليلٍ لحبِّ مصرَ للعلاقَاتِ السِّلميَّةِ، تِلكَ المعاهدَاتُ السِّلميةُ الَّتِى عقدهَا (إخناتون) معَ ألدِّ مُنَافسيهِ. وقَدِ ابتكَرَ الاتفاقَات السياسيَّةِ والهُدَنْ. بلْ كانَ يُصَادقُ مَنْ كانُوا أَعْدَاءه، ويسهِّلُ دُروبَ الاتصالاتِ بينهُم للوصُولِ إلَى السَّلامِ. فكانَ يستقبلُ البعثَاتِ

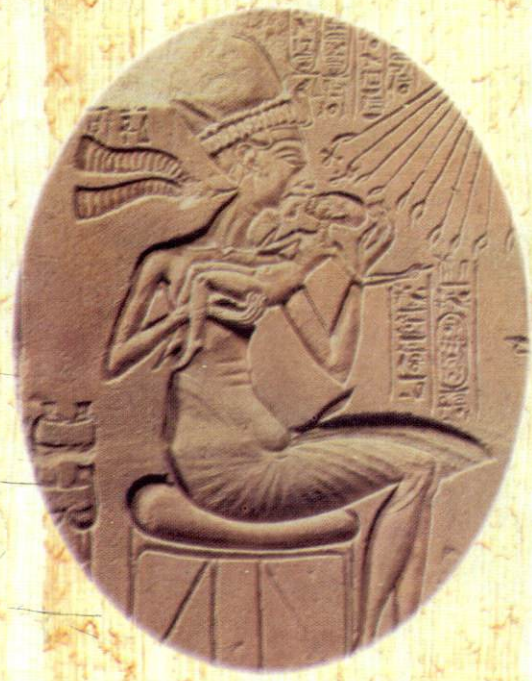

(٣) الملك إخناتون ملك السلام

الدينيَّةِ والسياسيَّةِ كما فعلَ الملكُ (إخناتون) الآتونى حين بعثَ برسائلَ عديدةٍ إلى ممالكَ أجنبيَّةٍ فى بلادِ الشَّام وبينَ النهريْنِ، طالبًا أنْ يَحْضُرُوا إلَى مصرَ للتعرُّفِ عَلَى عاصمَتِهِ الجديدَةِ (بتلِّ العمارِنَةِ) بمُحَافظةِ المنيا.

وقَدْ تجسَّدَ كرمُ مصرَ والمصْريينَ فِى أكثرِ منْ مثالٍ: أَشْهرُهُم عندمَا بَعَثَ ملكٌ أَجْنبىٌّ إِلَى (أمونحتب الثالث) رسالةً ذاتَ مرّةٍ يقولُ مَضمونهَا: (ابعثْ إِلىَّ يَا أَخِى بالذَّهَب.. فالذَّهبُ فِى بلادِ أَخِى كالتُّرَاب).

وكَان التفاوُضُ السِّلْمى مَعَ حضَارَاتِ (حيت) و(آشور) و(ميتانى) و(بابل) و(الليبيين) و(البدو) دائمًا مَا يأْتِى بثمَارِهِ الاقتصَاديَّةِ، فَقَدِ انتعشَتْ مصرُ بفيْرُوز سينَاء، وَذهبِ النُّوبةِ، وأخشَابُ لبنَان، وقَوَارير جُزُر البحرِ المتوسِّطِ، وزيتُونِ الصَّحراءِ الغربيَّةِ اللِّيبية، والنباتَاتِ والطُّيورِ الإفريقيّة.

(٤) الفرقة النوبية فى الجيش المصرى.

هَذَا إِلَى جانبِ خَلْق عَلاَقاتٍ شخصيَّةٍ وُدِّيَّةٍ بينَ المُلُوكِ، لدرجَةٍ أَنَّهُ حدثَ ذاتَ مرَّةٍ أَنْ طلبَ ملكٌ أَجْنبىٌ مِنَ الملكِ المصرىِّ، إرسَالَ طَبِيبِه الخَاص؛ لعلاَجِهِ مِنْ مرَضٍ عُضَالٍ .

وهناكَ أَيْضًا رَسائل العمَارِنةِ المتَحضِّرَةِ الرسميّةِ والموَثَّقةِ بينَ الملكِ (إخناتون) وَأُسرتِهِ مِنْ ناحيَةٍ، والأُسَراتِ الأَجْنبيَّةِ مِنْ ناحيَةٍ أُخرى الَّتى هِىَ دليلٌ يُرَى الآنَ فِى المُتْحَفِ المِصْرىِّ؛ لوجُودِ عَلاَقاتٍ أُسريَّةٍ بينَ العائلاتِ الحَاكمَة، نتجَ عنْ ذلكَ حالةٌ منَ الوُدِّ والتعَارُفِ والإخَاءِ بينَ الشُّعوبِ فِى المنْطَقَة .

وكانَ المصْرىُّ مُتَساهلاً غيرُ عنيدٍ خلالَ تلكَ المعاهداتِ المُبْرمَةِ، والرَّسائلِ السياسيَّةِ المهمَّةِ. ونلاحِظُ أَنَّ دبلُوماسيَّةَ الفَراعنةَ كانت ذاتَ مُسْتوى عَالٍ منَ الذكَاءِ والحِنْكَةِ حتَّى إنهُم صرَّحُوا للأَجانبِ أَنْ يراسلُوهُم بالكتابةِ البَابليّة المسمَاريَّةِ، لأنهَا كانتْ اللغةُ الرسْميَّةُ الدبلُوماسيَّةُ الدوْليّةُ فِى المنطقَةِ، فى القرنيْنِ الثَّالثِ عَشَر والرَّابعِ عَشَر قبلَ الميلاَد .

ونجِدُ أَنَّ الكتابةَ المسْمَاريةَ هِىَ الَّتى كانتْ سَائدةً فِى لوحَاتِ رسَائلِ العَمَارِنة، فِى زمنِ حُكْمِ الملكِ (إخناتون) رغمَ أَنَّهَا كِتَابة غيرُ مصريَّةٍ. وهُوَ أكبرُ دليلٌ عَلَى تسامُحِ المصرىِّ مَعَ الآخرِ .

• فراعنة السلام :

يوجَدُ الكثيرُ مِنَ الأمثلةِ الَّتى تثبتُ بِمَا لاَ يدَعُ مجَالاً للشَّكِّ، أَنَّ الشخصيَّةَ المصريَّة، سواءٌ أكانتْ مَلكيّةً أَوْ مِنْ عامَّةِ الشعْبِ، كانتْ تتَّصِفُ بالسَّلام،

بدايةً مِنْ (نعرمر) أو (نارمر) مُوَحِّدُ القُطْرَيْنِ، والَّذِى حكَمَ مصرَ حَوالى (٣١٠٠) قبلَ الميلادِ، وهُوَ أيضًا مُؤسِّس الأُسرةَ الأولَى الَّذى كانَ لَهُ الفضلُ فِى إرسَاءِ قواعِد الوَحْدةِ السِّلميَّةِ بينَ الوجْهينِ القبْلِى والبحْرِى. وَقدِ اسْتمرَّت هَذه الحالة السِّلميَّةُ لمئات السِّنينَ. ثُمَّ مَارِّينَ بالمَلِكِ (خع سخم وى) مِنَ الأُسرةِ الثَّانيةِ، الَّذِى حكمَ فِى حَوالى (٢٦٢٦) قبل الميلاد، والَّذى أنجزَ أولَ صلْحٍ دِينىٍّ بينَ أكْبر رَبَّيْنِ مُتناحريْنِ فِى الديانةِ الفِرْعُونيَّةِ، ألاَ وهُمَا (حُورس) و(سِت) بأَنْ وضعَ الصَّقْر (حورس) وَغريمَه (ست) بجانبِ بعضِهِمَا فِى سلاَم معتليانِ اسمَ الملكِ الرَّسْمِى. وَمِنْ عامَّةِ الشَّعبِ أَتَى (ايمحتب) تلكَ الشَّخْصيَّةَ المَرْمُوقة، فهوَ أولُ طبيبٍ بَشَرِىٍّ، وأولُ مُهندسٍ معْمَارى فِى تاريخِ البشَريَّةِ، وكانَ أيضًا وزيرًا للمَلِك (زوسر) الشَّهير بهَرَمِه المدرّج بسَقّارَة حوالى (٢٨٠٠) قبل الميلاد. وكانَ مِنْ أَوَائِلِ المصْريينَ الَّذينَ أُطلقَ عَليْهم اسمٌ لَه عَلاَقةٌ مُبَاشرةٌ بالسَّلام فاسْمُ (إيمحتب) يعْنِى بالهِيرُوغْليفية (الَّذى يَأْتِى فِى سَلام). ثُمَّ يأْتِى الملكُ (سنفرو) حوالى عام (٢٦١٣) قبل الميلاد؛ ليؤسِّسَ الأسرةَ الرابعةَ، وليبْنِى أُسْطُولاً بحريًّا كبيرًا، الغرضُ مِنْه الإبحَارُ إلَى الحضَارَاتِ الأُخْرى، وَإلَى البِلادِ الَّتِى لَمْ يعْرِفْهَا المصرِىُّ مِنْ قَبْل؛ ليتعرفَ عَليهَا وإقامَة عَلاقات سلميَّةٍ فِى شتَّى المجَالات. ثُمَّ يأتِى الملكُ (خوفو) حوالى عام (٢٥٨٩) قبل الميلاد، لينحَتَ اسْمَه المَلَكى فِى (توشكى) لإثْبَاتِ أَنَّهُ قَدْ ذهبَ ليتعرَّفَ عَلَى تلكَ المنطقةِ الجَميلَة. وهناكَ أيضَا المَلك (أوناس) أو (ونيس) (٢٣٧٥) قبل الميلاد، الَّذِى نحتَ مُتونَ الأهرَامِ عَلَى جدرانِ غُرَفِ هَرَمِه فِى سَقَّارة تاركًا لَنَا أولَ نُصوصٍ دينيَّةٍ تَدْعُو للسَّلام.

وقدِ اشْتركَتِ السَّيداتُ المِصْريَّاتُ أيضًا فِى إرْسَاءِ السِّلْمِ، مثلُ الملكةِ (نيت أقرت) (٢١٨٤) قبل الميلاد مِنَ الأُسرةِ السَّادسةِ، والَّتِى سَاعدَ اعتِلاؤُهَا عرشَ مصرَ عَلى انْتِقَالِ الحكْمِ فِى سلاَمٍ دونَ قَلاَقِل. ثُمَّ جاءَ (أمونحتب الثانى) حوالى (٢٠٥٥) قبل الميلاد ليوحّد القطْرَيْنِ بعدَ انفصَالهمَا، ليُعيدَ الهدوءَ لمصرَ الفِرْعُونيّة. وأيضًا العائلَةُ المكافحَةُ المكوِّنَةُ مِنَ الأَب (سقنن رع تاو) وابنيْه (كامس) و(أحمس)، الَّذِينَ انتصرُوا عَلَى الهكْسوس وطردُوهُم شرَّ طرْدةٍ، ليختَفِى إلى الأَبدِ أعدَاءُ السَّلامِ، وتعودُ طُيورُ الهدوءِ للغنَاءِ فِى سَمَاءِ مصرَ الصَّافيَة.

وَمِنْ أهمِّ الأمثلةِ عَلَى ذلكَ الملكُ (رمسيس الثانى)، الَّذى سطَّرَ عَلَى صفحاتِ تاريخِ البشريَّةِ أوّلَ معاهدَةِ سلاَمٍ مَعَ أعدَائِهِ. ولأَهميَّةِ هَذِه المعَاهَدَةِ، نُفرِدُ لَهَا السُطورَ القَادِمَة.

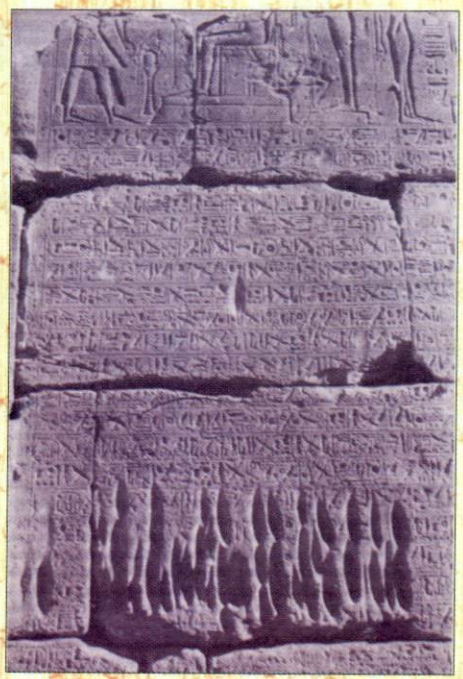

(٥) نص أول معاهدة سلام فى التاريخ - معبد الكرنك بين الملك (رمسيس الثانى) والحيثيين.

الظافر المسالم رمسيس الثانى:

- معاهدة رمسيس مع الحيثيين:

لَمْ يكُنْ إرسَاءُ قواعدِ السلامِ فِى المنطقةِ، بالعملِ الهيِّنِ، فِى ظلِّ التَّناحُرِ والحروبِ بينَ الممالكِ

الاستعمَاريَّةِ، وخُصوصًا مملكَةَ الحِيثيِّين والَّتِى كانَ مركزُهَا الأَناضُول، وكانتْ تتكوّنُ منْ مجموعَاتٍ بشريَّةٍ منْ أَصْلٍ هندو - أوربى. وهنا يظهرُ فِى التاريخِ الملكُ المصرىُّ القوىُّ الطموحُ المحبُّ لبلدِه وشعْبِهِ وأُسْرته وهو (أوسر - ماعت - رع) (رع القوى فى الحق) (رمسيس الثانى)، والَّذِى تُوّج رسْميًا فِى اليومِ السَّابع والعشرينَ منْ شهرِ (الصيف الثالث) (أوائل شهر يونيو عام ١٢٧٩ قبل الميلاد). وقَدْ حَكَم مصرَ حوالى ٦٦ عامًا وشهرين. وبَنَى (رمسيس الثانى) الكثيرَ مِنَ المعابدِ مثلَ أجزَاءٍ مِنَ الكَرْنكِ والأقصرِ وأبيدوس، وأيضًا معبدَ الرَّمسيوم وَوَادِى السبوع وتانيس وغيرهَا. وقَدْ نحتَ لنفسِهِ ولزوجَتِهِ (نفرتيرى) مَعبديْنِ فِى صُخورِ النّوبةِ الجميلَة. وقَدْ أَطْلَقَ عليهمَا معْبدىْ (أبو سمبل).

والملك رمسيس تَجدهُ فِى فصول التَّاريخِ مَلِكًا منْتصرًا لمصْرَ، مُحبًّا للسَّلام. فقدْ جمعَ بين الشَّخْصِيَّتيْنِ الظَّافرُ والمُسَالم. ويظهرُ ذلكَ فِى أنهُ رغمَ حِرْصِهِ عَلَى أنْ يسجِّلَ ملحمَتَهُ العسكريَّةَ الشَّهيرةَ بموْقعة (قادش) عَلَى جُدرانِ مَعابده. وَقَدْ ظهرَ شجاعًا مِقْدَامًا. وَرَغْمَ حِرْصِه عَلى تدْوينِ نُصُوصٍ تثبتُ انتصَارَه فِى تلكَ الموقعةِ الحَاسمةِ، والَّتِى أَنْهتْ ستَّ سنواتٍ مِنَ الحروبِ، إلاَّ أَنَّه أظْهرَ أيضًا حُبَّهُ لِلسَّلام، عندمَا وَافقَ عَلَى عقْدِ معاهدَةِ سلامٍ معَ الحِيثيين، هىَ الأُولَى مِنْ نوعهَا، ليسَ فقطْ فِى تاريخِ المنْطقَة، ولكنْ فِى تاريخِ العالَمِ آن ذَاكَ، وهَذَا شىءٌ يدعُو للفَخْر.

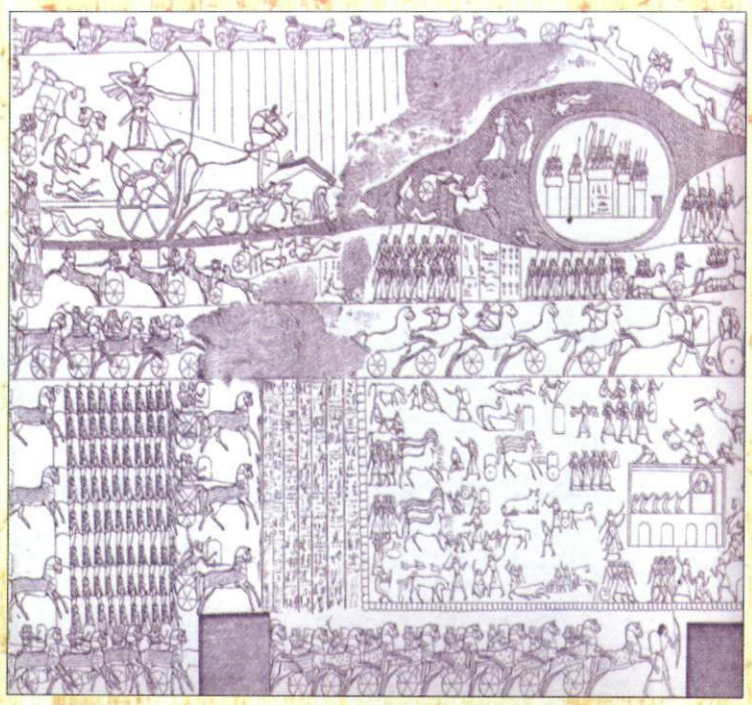

(٦) ملحمة قادش بين الملك والحيثيين.

وقبلَ أنْ نتكلَّمَ عَنْ هَذِه المعاهدَةِ الرَّائدةِ، يجبُ أَنْ نقولَ: إنَّ مدينةَ (قَادِش) كَانتِ المشهَدَ الخِتَامِى لهَذِه المعارِكِ، والَّتِى دخلَهَا أَبُوهُ الملكُ (سيتى الأول) بعدَ أَنْ ثبتَ أَنَّ ظهورَ قُوَّةَ الحِيثِيِّينَ فِى الشمالِ، لَهُ أهميَّةٌ كبيرَةٌ، ومؤثِّرةٌ فِى ميزَانِ القُوى فِى المَنْطِقةِ. وقدِ ارتدَى الملكُ (سيتى الأول) مِثْلُ ابنِهِ (رمسيس الثانى) تاجَ الـ (خبرش) الأَزْرق وهُوَ تاجُ الحربِ والمعارِكِ رغْم تمسّكه بالسَّلاَم.

وقَدْ تمَّ عقدُ معاهدَةِ السَّلام بينَ ملكِ مصرَ (سيتى الأول) وملكِ الحيثيينَ، (مورسيليس الثانى). فِى عام (١٢٩٥) قبلَ الميلادِ، تُوُفى (مورسيليس) واعْتلَى ابنُه (مواتاليس) العرشَ ثُمَّ (يورهى -تيشاب) لفترةٍ وَجيزةٍ. ثُمَّ جاءَ

(حاتوسيليس) القويُّ ليحكُمَ فِى حَوالى عام (١٢٦٤) قبلَ الميلادِ، و كانَ هذَا إبَّانَ حكْمِ (رمسيس الثانى).

وتقعُ مدينةُ (قادش) بينَ نهرِ (العاصِى) وبينَ رافدٍ آخرَ يجْرِى مِنَ الغَرْب، وقَدْ أَصْبَحت جزيرةُ صَعْبةُ الغزْوِ، عندمَا شقَّ أهلُهَا قناةً صناعيَّةً عرضيَّةً، بَلْ إنهَا أيضًا كانتْ تقعُ عَلَى ربوةٍ عاليةٍ، الأمرُ الذِّى جعلَهَا تستعْصِى عَلَى الجيوشِ الغَازِيّة.

ومَعَ كثرةِ المواقعِ الحربيّةِ بينَ المملكتيْنِ، أدركَ الطَرَفَانِ أنَّ الحربَ واسْتمرارهَا لَمْ تُجْدِ، بَلْ سوفَ تزيدُ الخسائرَ مِنَ الجانبيْنِ. فجنحَ الطرفانِ إلى الوسائلِ الدُّبلوماسيَّة. وتمَّ إرسَال المبْعوثينَ (لرمسيس الثانى) مُهنئينَ بالجَسَارةِ التِّى يتميَّزُ بهَا وطَالبينَ السَّلَام، وقَدْ نَجَا نصُّ معَاهدةِ السَّلامِ تلكَ مِنْ أيْدِى المخَرِّبينَ واللُّصُوص، فتمَّ الكشفُ عَنْ نصِّ المعَاهدةِ فِى (معبد الكرنك) وآخر فى (معبد الرمسيوم) بالبرِّ الغربىِّ لمدينَةِ الأقْصُر.

وَقدِ اكتشفَ - أيضًا - نصُّ المعَاهدةِ الحيثىّ فِى (حاتوساس) عَاصِمَة الحِيثيين القديمَة، وَهِىَ مَنْقُورَةٌ ومَنْقُوشةٌ عَلَى لوحَاتِ الطِّينِ، بالكتابةِ البَابليَّة المسْمَاريَّة، لأنهَا كانتْ لغةُ التّخَاطُبِ الدّولى بينَ شعوبِ المنْطِقَة. وقدْ تمَّ عقدُ المعَاهَدةِ فِى العامِ الحَادِى والعشرينَ مِنْ حكْمِ (رمسيس الثانى)، حَوالى (١٢٥٩) قبلَ الميلاد. ومِنْ شُروطِ المعَاهدة:

١ - إنَّ السلامَ بينَ البلديْنِ يجبُ أنْ يستمرَّ للأبدِ.

٢ - لا يجوزُ لطرفٍ أنْ يطْغَى عَلَى أرْضِ الآخَرِ.

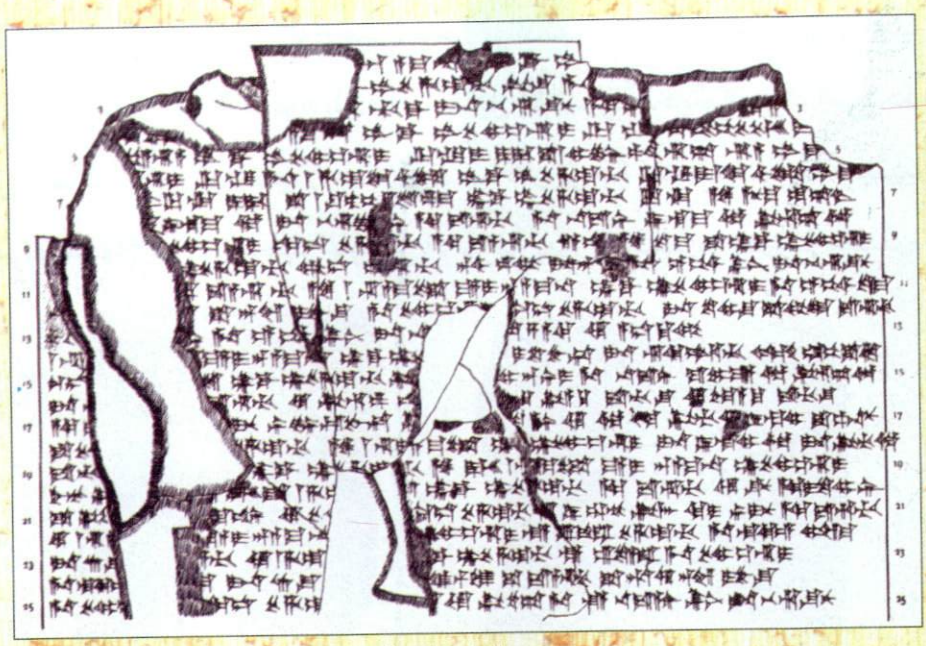

(٧) نص المعاهدة الحيثى .

٣ – يساعدُ كلٌّ بلدٍ الآخرَ فِى حالةِ الاعتداءِ عليهِ مِنْ قبلِ أىِّ عَدُوٍّ.

٤ – يجبُ تَسْليم أىِّ شخصٍ يحاولُ الهرُوبَ أو اللَّجوءَ للبلدِ الآخرِ لبلَدِهِ الأَصْلِىِّ. ولا يعذَّبُ أَوْ يُضْطَهدُ عندَ رُجُوعِهِ ولا يتَّخذُ ضِدُّه أىَّ إجرَاءٍ عَنِيف.

وقَدْ ساعدَ الزوَاجُ الدبلُوماسىُّ عَلَى نجاحِ معاهدَةِ السَّلَام، وخلْقِ عَلاقاتٍ طَيِّبةٍ بينَ المملكتيْنِ، كَمَا حدثَ منْ قبلُ فِى الأُسرةِ الثَّامِنَةَ عشرة، عندمَا صَاهرَ الملكُ (أمونحتب الثالث) أُسَراتِ مَمَالك آسيا الغَرْبيّة. فقدْ تزوَّجَ (رمسيس الثانى) منْ أكبرِ بناتِ المَلِكِ (حاتوسيل) سِنًا.

وقدْ وَصَلتِ الأميرةُ الحيثيَّةُ إلَى (بررمسيس) عاصمة (رمسيس الثانى) فِى الشَّهْرِ الثالثِ منْ فصْلِ الشتاءِ فِى العام (٣٤) منْ حكْمِ الفِرعَوْن، وقَدْ أُطلِقَ عليهَا اسمُ الملكِ (ماحور – نفرو – رع)، وقَدْ أرسَلَ مَلِكُ مِصْرَ برسَالةٍ بالكتابَةِ

الآكاديّة المسْمارِيَّةِ عَلى لوحٍ منَ الطـين لوالدتِهَا المَلِكَة الحِيثية (بودو خيبا) يُظْهـرُ احترامَـهُ وتقديرَهُ لملكةِ المستقبلِ الأَميرةِ الحيثيَّةِ، وقدِ استخدمَ (رمسيس الثانى) لقب (أخت) عندمَا كانَ يوجِّهُ كتاباتِهِ لملكةِ الحيثيين (بودو خيبا) وذلكَ لتوطيدِ الأواصِرِ الأُسريةِ بينَ العائِلَتيْنِ، ومِنْ ثَمَّ البلدَيْنِ.

(٨) رسائل بالكتابة المسمارية بين ملك مصر وملكة الحيثيين بشأن ابنتها.

وقدْ طمأنَ مَلِكُ مصرَ الملكةَ الأجنبيَّةَ، إلَى أنَّ ابنتَهَا الأميرةَ سوفَ تُعاملُ بكلِّ احْتِرَام كملكَةٍ لمصْرَ. وأصبحَ أعداءُ الأمسِ، أصْدقَاءُ اليوم، وَعَائِلاتُ المسْتقبلِ، ومِنَ المؤَكَّدِ أنَّ (رمسيس) عندمَا اتخذَ قرَارَ السِّلم، لَمْ يكـن دِيكْتَاتُوريًّا فِى قَرَارِهِ مُنفردًا بِه، بلْ إنَّهُ جَنحَ إلَى استشَارةِ مُعَاونيه.

يقولُ النَّصُّ القديمُ عَلى لسـانِ المَلك المِصْرى: [.. عملْتُ عَلَى أَنْ يتمَّ إحضَارُ جميعِ قادةِ سـلاحِ مُشَـاتِى وَسِـلاَح مَرْكَباتِى الحرْبيّةِ الَّذينَ تجمَّعُوا فِى مكانٍ وَاحدٍ، وَجَعلْتهم يسـتمعُونَ إلَى مشروعِ « السـلام » الَّذِى أُرسلَ إلَىَّ.. وأجَابُوا

قائلينَ لِجلالَته، لَهُ الحياةُ والصِّحَّةُ وَالقوّةُ: (أيها العاهِلُ، أيا سيدنا، السلامُ أمرٌ طَيِّبٌ).. وأمرَ جلالتُه أنْ يُسمعَ كلامُه، ورَحلَ فِي سلامٍ فِي اتِّجاهِ الجنُوبِ.. وعادَ فِي سلامٍ إلَى البلدِ المحْبُوب] .

وَعلَى هَذَا فَإنَّ السَّلامَ، كان ليسَ فقطْ مِنْ طبيعةِ المَلِك وَحْده، بلْ كانَ مِنْ طبيعةِ كلِّ المِصْريينَ، والدَّليلُ عَلَى ذلكَ أَنَّهُ عندمَا اقترحَ الحِيثيُّونَ السّلامَ بينَ المَمْلكتيْنِ، وَافقَ (رمسيس الثانى) شَعْبهُ عَلَى الفورِ لينْهِىَ صرَاعًا دَامَ زُهَاءَ القَرْن.

• احترام رمسيس الثانى للمعتقدات المقدسة لملوك النوبة:

ظهرَت الشخصيَّةُ القويَّةُ لمُلوكِ النُّوبةِ فى الجنوبِ عَلى مَرِّ الأُسَراتِ والأزمنَةِ، فَبَنوا الأهرامَاتِ و المعابدِ لأَرْبَابهم المقدَّسة، وأظْهرَ (رمسيس) احترامَه لتلكَ المعتقدَاتِ وَالمقدَّسات. فنحنُ إذَا مّا ذهبنَا لمعبدِ أبى سَمبلِ الكَبيرِ، نَرى بالقربِ مِنْ لوحةِ زواجه منَ الأميرةِ الحيثيةِ الموجُودةِ عَلَى يسارِ الداخِلِ أَمَامَ الوَاجهَة، منظرًا مَنْقورًا ومنقُوشًا أَعْلَى حائطِ البهْوِ الأُوزيريِّ، لـ (رمسيس) وهو يُبَجِّلُ ويُظهرُ احترَامَهُ (للرَّبَّةِ الكُوبْرَا)، وهىَ الحيّةُ المقدسَةُ للجبلِ النُّوبىِّ المُسَمى (بركال). وهذَا المنظرُ لا يقلُّ أهميَّةً عَنْ معاهدَةِ السَّلامِ التَّى أَبْرمَهَا الملكُ مَع الحِيثيينَ، وخصوصًا عندمَا تُوضعُ فِى مَعْبدٍ طَالمَا اتّهمَ أنّهُ منْحُوتٌ منْ قبلِ الملكِ لإخَافَةِ النُّوبيينَ، وَذلكَ للدَّلالةِ عَلَى تقديرِ الملكِ للسَّلام بلْ إنَّهُ كان يُصَادِقُ النُّوبيين، ويمدحُ أَرْبَابَهُم لدرجَةٍ أَنَّهُ أكَّدَ عمليَّةَ التوْأمَةِ الدينيَّةِ السِّلميَّةِ بينَ المقدسَاتِ المصْريّةِ والنُّوبيّةِ، فنجدُ (رمسيس الثانى) يهَبُ السَّوائلَ المقدَّسَةَ للرَّبِّ (حورس) الصَّقْر، وقَدْ

(٩) احترام (رمسيس الثانى) للمقدسات النوبية بمعبد أبى سمبل

أُطلِـقَ عَليْه فِى النَّصِّ الهيرُوغليفى (حورس باكى)، و(باكى) هُوَ رَبٌّ نُوبِىٌّ مَحَلِّىٌّ معروفٌ. وَفِى منظرٍ آخرَ فِى المعبدِ الكَبيرِ لأبِى سُمبل يظهرُ الملكُ وهُوَ يُعطِـى الخبْزَ لـ (أمون رع) والوُرُودَ لـ (حـورس – حا)، و(حا) وهُوَ أيضًا ربٌّ نُوبِىٌّ مَحَلِّىٌّ. وكانَ (رمسـيس) يقصِدُ بوضْعِ الأربَـابِ المصْريَّةِ جنبًا إلَى جنْبٍ مَعَ الأربَابِ النُّوبيةِ تأكِيدًا لحسنِ النيَّةِ، وَتَوْطِيدًا لِلْعَلاَقَاتِ السِّياسيّةِ والاجتمَاعيَّةِ والدِّينيَّةِ.

• سلام ينعش الاقتصاد:

عَلَى مَدَارِ العصُورِ الفرعُونيَّةِ المُتلاحقَةِ، والأُسراتِ الحاكمَة، أتتْ مُعَاهداتِ السَّلام بالثمارِ الجمَّةِ المرْجُوّةِ منهَا، فانتعشَ الاقتصادُ وتمَّتْ عمليَّاتُ تبادُلِ المنْفعَةِ، تحتَ مظَلَّة الشعورِ بالأمانِ القَائم عَلَى العِزَّةِ والكرامَةِ والإبَاء. ويرجعُ ذلكَ؛ لأنَّ المصرىَّ كانَ لديْهِ جيوشٌ وأساطِيلُ عَلَى أَعْلَى مُسْتوَى عَسْكَرِىٍّ، إلَى جانبِ مَا لديْهِ مِنَ التَّقْنيَةِ والمَنَاورَةِ والبراعةِ ممَّا جعَلَهُ أَقْوى جَيشٍ فِى وَقْتِهِ، وكانت هَذِه القوَّةُ تؤَهِّلهُ لحمايَةِ إمبراطوريَّةٍ مُتَراميَةِ الأَطْرَاف، ذَاتِ مساحَةٍ شاسعَةٍ، لأنهَا قَدْ فتحَتْ بِلاَدًا جديدةً، ومُدنًا كبيرَةً وصَغِيرَة.

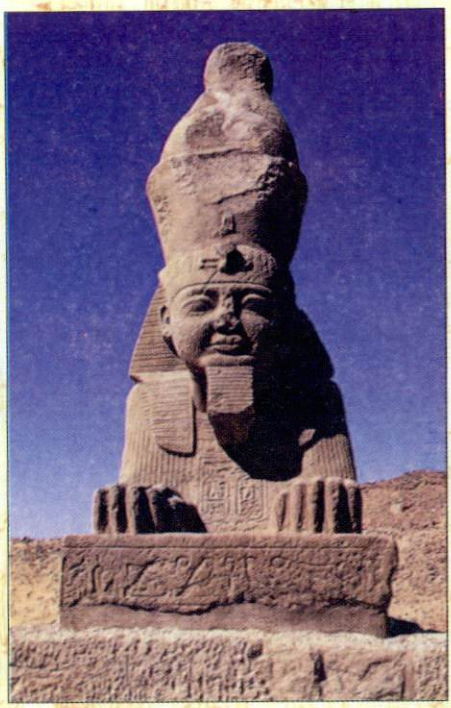

(١٠) تمثال (أبو الهول) بملامح نوبية مبتسمة هادئة بمعبد رمسيس الثانى بالنوبة.

• سلام الكبرياء:

ورغمَ ذلك فإننَا لمْ نقرأ أَىَّ نَصٍّ قديم، سَوَاء أَكانَ النَّصُّ مصريًّا أوْ أجنبيًّا يقولُ: إنَّ المصرىَّ قَدْ فرضَ العبوديَّةَ عَلَى بلدٍ بعيْنِهَا أَوْ تمَّتْ عَمليَّةُ إبادَةٍ كاملَةٍ، رغمَ انتصَاراتِهِ وتمكُّنِهِ - تمامًا - مِنْ أدواتِهِ السياسيَّةِ والعَسْكريَّة.

اقْرأْ مَعِى جُزْءًا مِنْ نَصٍّ عَنِ السَّـلام المصْحُـوبِ بالقُوَّةِ والانتصَار، وهُوَ للمَلِكِ (با – إن – رع) مَحْبـوب آمون ابن رع (ميرنبتاح) والَّذِى حكمَ مصْرَ زَهَاءَ العشْـرِ سَـنَوات، وهَوَ الابنُ الثَّالث عَشَر (لرمسيس الثانى) ووَرِيثه فِى حكْم مصرَ يقولُ: (هُوَ الثَّورُ.. ربُّ القوةِ، الجميلِ فى جَلَبةِ الجَسَارة عندمَا يُهَاجم. وهو الثَّوْرُ الَّذِى يطْردُ السَّـحَابَ الَّذِى كَانَ فوقَ مِصْرَ، ليتيحَ للبلدِ المحْبوبِ « مصر » أَنْ يَرى أشعَّةَ قرصِ الشَّمْس.. وتَمَّ تَحْطيمُ بلادِ الـ « تيمحو » فِى فترةِ حَيَاته، ليَبْقَى الرُّعبَ عَلَى الدَّوام فِى صُدُورِ آل « ماشواش ». لقَدْ هُزِمَت بلادُ الـ « تحنو »، و« الخاتى » مسالم، وطُهِّرَت « كنعان » مِنْ كلِّ شىءٍ كَانَ بِهَا واقْتِيدَتْ « عسقلان »، وَتَمَّ الاستيلاءُ عَلَى « جيزر »، وَصَارت « نيو عام » وَكأنهَا لَمْ تُوجَدْ قطْ).

(١١) الأسرى الأجانب بملابسهم التى تميز بلادهم .

وَمِنْ هَذا النَّصِّ، نتعلَّمُ أَنَّ قوةَ الجيشِ المصرِيِّ لمْ يكُنْ لَهَا مَثِيلٌ، ونتبيَّنُ مِنْ ذلكَ، أَنَّهُ كانَ سلامُ الكُبرياءِ، وسلامُ الأقوياءِ مِنْ أجْلِ تَوْحيدِ تلكَ البلادِ والمدنِ تحتَ لواءٍ واحدٍ وقيادةٍ وَاحِدَة. وَينتَهِي النَّصُّ بعِبَارَاتٍ مُؤكِّدةٍ لتلكَ الظَّاهرةُ المِصْريَّةُ المبتكَرَةُ فِي تلكَ الأَزْمِنَة، فِي وقتٍ كانتِ القوةُ والجبروتُ والطغيانُ والإرْهابُ، صفاتٌ تَعوَّدَتْ عَليهَا أكثرُ ممَالكِ الأرضِ، يقولُ النَّصُّ: [.. كلُّ البلدانِ توحَّدتْ وسَادَهَا السَّلامُ. وكلُّ مَنْ كانُوا يَهيمُونَ عَلَى وُجُوههم يَجْمعُهُم الآنَ ملكُ الوجْهيْنِ القِبْلِي و البحْرِي (بان إن رع) ابن رع (ميرنبتاح) الموهُوب الحيَاة يوميًّا، مثل (رع)]. وتتلخَّص النظريَّةُ الفرعُونيَّةُ فِي الآتي: السلامُ يُنْعشُ الاقتصَادَ، ويصبحُ فِي أوجِهِ، عندمَا تُوفر السُّلطةُ المرْكزيَّةُ القويَّةُ حياةً اجتمَاعيَّةً هَنيئَةً مُسْتقِرَّةً، فِي مصرَ والمَمالكِ المفتوحَةِ فِي البِلادِ منذُ القِدَم.

• الرحلات السلمية التجارية:

فِي وقتٍ كانَ يَغُطُّ العالَمُ فِي كُهُوفِ ظَلامِ الحروب، كانَ المصرِيُّ يتعرَّفُ ويَسْتكشِفُ ويتبادَلُ المنفعَةَ الاقتصاديَّةَ معَ مَمَالكَ أُخرى، مِثَالُ ذلكَ، تلكَ الرَّحلاتُ السِّلْميَّةُ التُّجَاريةُ إِلَى بِلادِ (بونت) والَّتِي يرجِعُ أولُ ذكْرٍ لَهَا إِلَى الأُسرةِ الخَامِسَة (٢٣٩٤-٢٣٤٥ قبل الميلاد). فِي عهْدِ المَلِك (ساحو رع) ثُمَّ المَلِك (أسوسى) والملكةُ (حتشبسوت) (١٤٧١-١٤٥٦ قبل الميلاد) فِي الأُسْرةِ الثامنَةِ عشرة، والمَلِك (رمسيس الثالث) (١١٨٧-١١٥٦ قبل الميلاد) فِي الأُسرَةِ العشرينَ، بَلْ واسْتمرَّتْ حَتَّى الأسرةَ السَّادسةَ والعشْرينَ. وَكانتْ كلُّهَا بِعْثَاتُ

سِلميَّةٌ، الغرَضُ المَقْصُودُ منهَا استكشَافُ آفاقٍ جَديدةٍ، وفكٌّ طَلاَسم تلكَ الأَرَاضِى البعيـدَةِ الغَامضَةِ، وأيضًـا لجلْبِ الدَّهَانـاتِ والمَرَاهِمِ العطريَّةِ ذَاتِ الرَّائحةِ الطَّيبـةِ النَّفَّاذَة - وكانَ لهذه الدَّهَانات اسـتخدامَاتٌ يوميَّةٌ للكَهنةِ والنِّسَـاء - وَأيضًا جَلْبِ البخُور والمرِّ لمَا لهمَا مِنَ استخدامَاتٍ فِى أثناءِ الطُّقوسِ الدِّينيَّةِ للأربَابِ المقدَّسَـة. وَلكـنْ يجبُ عَلينَا أَنْ نضعَ الملكةَ الحاكمةَ (حتشبسـوت) والتـى حَكَمتْ مصْرَ ٢٢ عَامًا فِى الصَّدارَةِ عندمَا نتكلَّمُ عَنِ الرحلاتِ السِّـلميَّةِ التُّجاريَّـة، والَّتـى بعثَتْ بهَا إلى بـلاَدِ (بونت) الَّتِى سَـجَّلتهَا عَلَى جُدرَانِ معبدهَا المَشْهُورُ بالدِّيرِ البَحْرِىِّ، فِى البرِّ الغَرْبِىِّ لمدينَةِ الأُقصُر. وكانتْ بعثةُ (حتشبسوت) مِنْ أَهمِّ وأشهرِ الحملاتِ السِّلميَّةِ لغرضِ التبادُلِ التجارِىِّ إبَّانَ حُكمهَـا مِنْ (١٤٣٧-١٤٥٨ قبلَ الميـلاَد). وأتتْ هَذه الرحلـةُ بثمارِهَا، فقد تعرَّفَ المصريُّونَ عَنْ كَثَبٍ بالشَّـخصيَّةِ الـ (بونتيـة) الإفريقيَّة ذَاتِ الحضَارةِ المُتميِّزَة. أيضًا بطبيعةِ تلكَ البلادِ وخيراتهَا فقد كَانَت (بونت) تتميَّزُ بأشْجَارِ الحِنَّـة، ونخيلِ الدُّوم، والأَسمَاكِ الغَريبةِ، وحيونـاتٍ كَثيرةٍ، مِثْل الزَّرَافِ والنُّمورِ والفُهود. وَقَدِ اسْـتَخدمَ الملكَ والكاهنُ فِـى مصرَ القديمَةِ، جلدَ الفهدِ ليرْتَديهِ فِى كَثيرٍ مِنَ الابتهَـالاتِ الدينيَّةِ، وطُقوسِ الصَّلاَةِ، مِثْل طَقْس (فتح الفم)، وَالَّتِى يقومُ فيهَا الكاهنُ المُرتِّلُ بحركةٍ رمزيَّةٍ، مسْتخدِمًا عَصَاةً معقُوفةً يقتربُ بهَا منْ شِـفَاهِ الملكِ المُتوفَّى، وبالتَّالِى ييسِّرُ للمَلِكِ نطقَ اسْمِه فِى الحياةَ الأَبديَّةِ، الشَّىْءُ الَّذِى يسهِّلُ لَهُ فتْحَ الأبوابِ والممرَّاتِ، لِكَىْ تَسيرَ وَتطيرَ فيهَا

رُوحُه. وقَدْ جَاءَ المصريونَ بأشجَارِ الحِنَّةِ مِنْ بِلادَ (بُونت)، وزَيَّنُوا بِهَا معبدَ الملكة (حتشبسوت)، حيثُ يَرَى فيهَا الزائرُ - اليومَ - اثْنتيْنِ عِندَ بابَ المدْخَلِ. تُدْخِلانِ البهجَةَ والسُّرورَ عَلَى الزَّائرينَ.

أَمَّا عنِ بِلادِ (بُونت) نفسِهَا، فقدِ اهتمَّ علماءُ الجغرافيَا بمَاهيَّتهَا، فأينَ هِيَ بِلادَ (بونت) الآن؟

بعضُ العلمَاءِ يؤكِّدون، أَنَّ (بونت) كانَ مكانًا يُطلقُ عَليه الآن (جيبُوتِى). ويقترحُ أثريُّونَ مِنْ (فرنسَا) فِى مَوْسُوعَتهم عَنِ الفراعنَةِ، أَنَّ الكَثيرينَ قَدْ عدَّلُوا عَنِ اعتقادِهِمْ بأَنَّ موقعَ بلاَد (بونت) هُو بلادُ العرَبِ السَّعيدةِ (اليمن). وبعضُ المؤرِّخينَ يَعْتقدُ أنهَا كانتْ مَكانًا فِى (أريتريا)، ولكنْ هناكَ مجموعةٌ تفضِّلُ (أثيوبيا). ولكنْ مِنَ المؤكَّدِ أَنَّ جبلَ (بُونت)، المحْتَوى عَلى العديدِ مِنْ مناجِمِ الذَّهبِ، كَانَ عَلَى مقربَةٍ مِنْ بِلاَدِ (كوش)، الواقِعَةِ فِى وَادِى النِّيلِ النُّوبى.

وَرَأْينَا الخَاصُّ أَنَّ المنظرَ المنْحُوتَ عَلى جُدرانِ مَعْبد (حتشبسوت)، لهوَ الدليلُ الدَّامِغُ عَلَى المكَانِ الأَصْلى (لبونت). نجدُ أَنَّ أَهَالى (بونت) كانُوا يعيشونَ فِى أكواخٍ مِنْ جريدِ النَّخلِ، وأخْشَابه يُشيِّدونَهَا بأيديهِمْ عَلَى أَعْمدةٍ مِنَ الخشَبِ، لترتفعَ عَنْ سطحِ الأرضِ المغْمورةِ بالمياه، وَيَصِلُوا إِلَى مداخِلِ أكواخِهِمْ عنْ طريقِ سُلَّمٍ يَصْعدونَهُ. وتحتَ هذَا المنظرِ المنحُوتِ والملونِ بالضبْطِ، يوجدُ منظرٌ آخرُ يُبَيِّنُ الأنواعَ المختلفةَ للأسمَاكِ الَّتِى تَعيشُ فِى مِياهِ (بُونت).

وَمِنْ هذَا التنوُّعِ فِى الأحياءِ المَائيَّةِ الموضَّحَةِ فِى المنظرِ، نجدُ أنَّ هناكَ أسماكًا وَسُلحفاةً بحْريَّةً، وبدراستِهم وجدْنَا أنَّهم خليطٌ بينَ أسماكٍ بحريَّةٍ ونيليَّةٍ، الشَّىءُ الَّذِى يَخْلُصُ مِنْه أنَّ (بوينيت) أصْلُ التَّسميةِ بالكتابةِ الهيرُوغْليفيّة كانَ مكانًا يطلُّ عَلَى مُلتقَى البحْرِ بالنهْرِ، وذلكَ يُؤكِّدُ وُجُود النَّوعيْنِ المتبايِنيْنِ مِنَ الأحياءِ المَائيَّة. وعَلى ذَلِكَ فَهُوَ مكانٌ بينَ البحرِ الأحمرِ وَأقربِ فُرُوعِ نهرِ النيلِ إليْه، وتحديدًا فِى جنوبِ شرقِ السُّودَانِ أوِ الصُّومالِ، وذلكَ لِلاعْتباراتِ المذْكُورةِ آنفًا.

وَمِنَ المؤكَّدِ أنَّ العلاقَاتِ التُّجاريَّةِ الَّتِى نتجَت عَنِ السلامِ بينَ مصرَ وجيرانِهَا، بدأت فِى عصْرِ مَا قبلَ الأُسرَات، معَ بلادٍ مِثْلَ بلادِ مَا بينَ النهريْنِ والجزيرَةِ العربيَّةِ والأناضُولِ والشَّامِ والنُّوبة، وكانَ لهذِهِ العلاقةِ دلائلُ كثيرةٍ، إذْ نجدُ أنَّ مركزَ التِّجارةِ فِى الجنُوبِ، كانَ يُطلقُ عليْهِ (ساين) أو (سوين) بمعْنَى تِجَارة، وهذَا هُو أصْلُ تَسْمية (أسوان).

وَلَقدِ اهتمَّ المصْرِىُّ بالحدُودِ الجُغرافيَّةِ والسِّياسيَّةِ لبلَدِه، وأطلقَ عَلَى مُسمَّى الحدودِ لَفْظَ (تاش) بالهيرُوغْليفيّة. هذَا الاهتمَامِ الَّذِى ساعدَ عَلَى انْفِرَادِ مصرَ بصفَةِ الاسْتِقْلاليَّة. وَيظهرُ مجهودُ الحاكِمِ المَلِكِ (مرين رع) (٢٢٨٧-٢٢٧٨) قبل الميلاد، عندمَا شَقَّ قناةً مِنْ أجلِ إقَامةِ عَلاقاتٍ تُجاريَّةٍ واجتماعيَّةٍ، معَ مَجْموعاتٍ بشريَّةٍ مُخْتلفةٍ. وقَدْ تَمَّ اكتشافُ آثارٍ مِصْريَّةٍ قديمَةٍ فِى (بيبلوس)، (٤٠ كم) منْ بيْرُوت الحاليَّةِ، حيثُ كانَ للمصريِّين عَلاقاتٌ تُجاريَّةٌ لجلْبِ خَشَبِ الأرْز.

• حقول السلام:

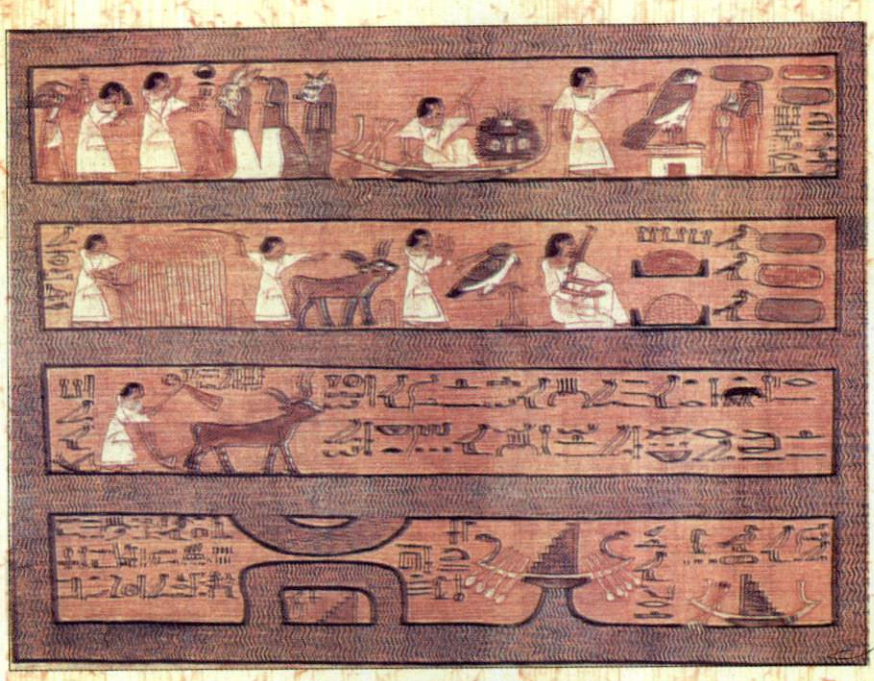

(١٢) حقول (السلام) الفرعونية.

حتَّى المَوْت، كانَ المصرىُّ يَسْتقبلُه بسلام وَهُدوءٍ سَريرَةٍ؛ وذلكَ لاعتقادِه بأَنَّ آخرتَهُ ستكُونُ فِى حقولِ السَّلام، وسوفَ ينعمُ معَ عَائلتِهِ وَأَصْدقائِه وحَيَواناتِهِ الأليفةِ بمزَارِعَ غنَّاءَ، تجْرِى فيهَا جداولُ مياهِ الحياةِ للأبدِ. بَلْ إنَّهُ لمْ يُذْكر، مثلاً فِى حَالةِ وفَاةِ الحَاكم، أَنَّ الملكَ قَدْ مَاتَ، (كلمة «موت» بالهيروغْليفية هى نفسُهَا بالعربيَّة)، بلْ كانَ يَصِفُهَا بطريقةٍ رُومَانسيَّةٍ، تدلُّ عَلَى عُمْقِ تَفْكيرِهِ الدِّينى، يقولُ النصُّ الفرعُونى: (الملكُ يأتِى إليكَ، أيا «نوت» – السَّماء– ويَبْسطُ جناحَيْهِ كَجَنَاحى صقْرٍ، وريشُه كريشِ البَاشَقِ[1]. يالَهُ مِنْ

(١) الباشق: نوعٌ مِنْ فصيلةِ العُقاب وهُو مِنَ الجوَارحِ يُشْبه الصَّقر، والجمع: (بواشق).

منظرٍ جميلٍ كَمْ هُوَ رَاقٍ.. تَأملْ هَذَا الرَّبَّ عندمَا يصعدُ إِلَى بَابِ السَّمَاء، القريبِ مِنَ الأُفقِ، مَفْتُوح مِنْ أَجْلك).

وقَدْ وضعَ المصرِىُّ القديمُ الكثيرَ مِنَ العباراتِ والتَّعاويذِ فِى مَقابرِهِ؛ لاعتقَادِه أَنهَا سوفَ تَحْميهِ مِنْ أَيَّةِ قوى شِرِّيرةٍ، تريدُ تدميرَ بدَنِهِ، أَو مُتَعلِّقاتِهِ الشَّخْصيَّةِ الَّتى يَضَعها بَجَانبهِ لأَخْذهَا مَعَهُ إِلَى الحياةِ الثَّانية، فالمُومياءُ يجبُ أَنْ تنعمَ بالاسْتلْقَاءِ فِى سلامٍ دَاخلَ تابوتِهَا، وَلاَ يصحُّ أَنْ تشعرَ بأَىِّ اضطرَابٍ خَارجى يفسدُ الحَالةَ السَّلْميَّةَ المُرَادُ تَحْقيقَهَا لِلْمتوَفَّى.

• السلام بين أفراد المجتمع:

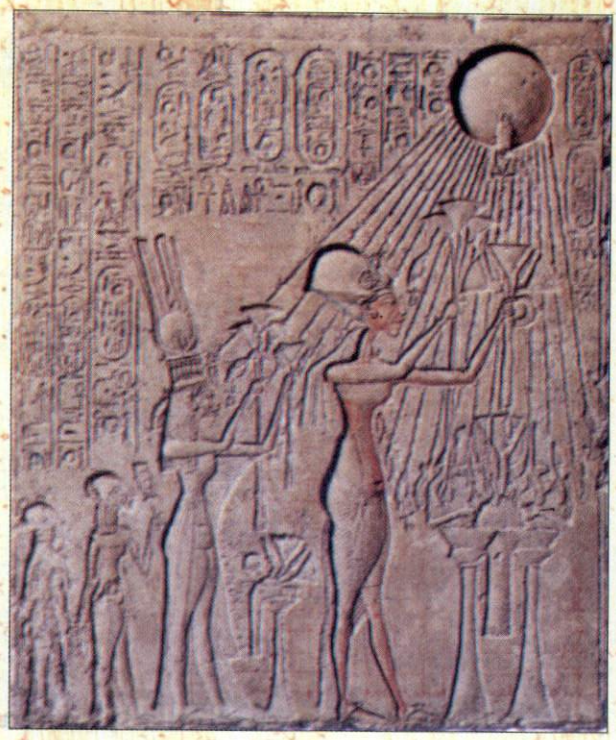

(١٣) إخناتون وعائلته فى توافق وسلام.

كانَ المصرِيُّ – دائمًا وأبدًا – يحثُّ فِى نَصائحه عَلَى العَلاقاتِ السلميَّةِ بينَ الأَصْدقاءِ خاصَّةً والبشرَ عَامةً، ويحذِّرُ منَ الانسيَاقِ وراءَ العصبيَّةِ والتفوُّهِ بألفاظٍ غليظَةٍ فِى أيَّةِ مُنَاقشةٍ، وخُصوصًا عندَما يحتدمُ النقاشُ معَ صديقٍ أو أَحدِ مَعارِفِكَ، وكانَ يرَى أَنَّهُ منَ الأَجْدى، أَنْ تتحكَّم فِى كلماتِكَ وتصونَ لِسَانَكَ عَنْ كلامٍ قَدْ يُؤْذِى مَشَاعرَ الآخرِينَ، يقولُ (آنى) الحكِيم: (لاَ تتفوَّهْ بكلماتٍ شِرِّيرةٍ فِى حَقِّ إنسَانٍ مُشَاكِسٍ، وَفِى يومِ الخِصَامِ، ليتكَ تَكْتُمُ صوتكَ فِى قَلبِكَ. وستكتشِفُ فِى زمنِ الصَّداقةِ – بعدَ عودتِهَا – أَنَّ ذلكَ كانَ أَفْضَل. وَإِذَا حلَّ الأَسَى، فَستُلْغِى آنذاكَ هذِه الأَخيرةِ؛ كَىْ – تساعدكَ – عَلَى التحمُّل..).

وَفِى نصيحَةٍ أُخْرى يقولُ: (لاَ يؤاخِذُ البتَّةَ صاحبُ المزَاجِ الطيِّبِ، ولكنْ صاحبُ الطبيعَةِ الشِّرِّيرةِ هُوَ الَّذِى يستحِقُّ اللَّوْمَ).

السَّلامُ العَائلِى يُؤَدى إِلَى الاحترَامِ بينَ أفرادِ الأسرة، يُؤكدُ تلكَ المقُولةَ الحكيمُ المصرِىُّ القديمُ فكتبَ: "هناكَ فِى البيتِ أسبابٌ للخصَامِ، عَلَى القلبِ أَنْ يتجنَّبَهَا.. والقلبُ الهادِىءُ هُوَ الطَّرِيقُ لأُسرةٍ سَعيدَةٍ.. إِذَا كانَ رجلٌ لاَ يريدُ الخصامَ فى بيتِهِ فعليْهِ ألاَّ يبدأَ– به –، مَنْ أقدمَ عَلَى تأْسيسِ أُسرةٍ، عَليْه أَنْ يجعلَ القلبَ السريعَ الغَضَب، حازمًا وثابتَ الجنَان).

عاشتْ تلكَ الكلماتُ فِى وِجْدانِ المصرِىِّ منذُ البدايةِ، فنَجده يمدُّ أواصِرَ العَلاقاتِ السِّلْميَّةِ بينَ أفرادِ المجْتمعِ، مُجْتمعِهِ ومُجْتمعِ غَيْرِه. فنجدُ بعضَ

(١٤) أسرة سعيدة المتوفى وزوجته فى لحظة هدوء وسكينة .

الآثارِ المصريَّةِ الَّتى اكتُشِفَتْ فِى وَادِى غَزَّةَ مِنْ عصرِ حضَارةِ المعَادِى الَّتِى كانتْ مُوْجُـودةً فِى شمالِ مِصْرَ قبلَ عصرِ الأُسـرَات الفرْعُونية تثبتُ هَذَا. فقدْ عاشَ الفلسْـطينيُّونَ فِى المعَادِى، وتركُوا لَنَا دبابِيسَ نحاسـيَّةً وأدواتَ نحتٍ ونقْرٍ وسنانِيرَ تُسـتعملُ لصيْدِ السَّـمكِ، وقارورَاتٍ مِنَ البَازلْت ومَادةَ البيوتُومين، وخرزًا مصنوعًا مِنْ حجَرِ الكُورنيليين.

وعاشَتِ الأُسَرَاتُ (الإيجية) وأهلُ جَزيرة (ثيرا) فِى البحْرِ المتوسطِ وَغَيْرهمْ مِنَ الأجانِبِ، فِى المجتمعِ المصرىِّ فِى سلامٍ، وتركُوا آثارَهُم إِلَى اليَوْمِ.

كَانتْ مصـرُ الفرعونيَّةُ مُجتمَعٌ مُتفاهِمٌ مُتناسِقٌ مُتعاونٌ، يحبُّ وَطَنَهُ، وَفِـيٌّ للنيلِ والصَّحراءِ، مُخلصٌ لدِيانَتِهِ، مُتَفائِلٌ دائِمًا، يؤمنُ بِأَنَّ السـلامَ هُـوَ الطَّريـقُ إلَى كلِّ مَا هُـوَ مُفيدٍ ونَافعٍ، فَهُـوَ الطَّريقُ المُضِيـءُ الهادِى فِى وسـطِ عَتمَةِ الحُـرُوبِ، وهُوَ شمسُ الدِّفْءِ الطَّاردةِ لـبرودَةِ العَصَبيَّة. والسـلامُ كانَ أيضًا لتدعيمِ الميثاقِ السَّياسى، حتَّى إنَّ الشعراءَ الرُّومانسيينَ تأثَّروا بالشَّـخصيَّةِ المصريَّةِ القديمَةِ، فقال: (بيرسـى شيلى) فِى رائِعتِهِ (أوزيمندس): إنَّ تمثالَ (رمسيس الثانى) فِى (معبدِ الرمسيوم) يستلْقِى فِى سَلامٍ وهدُوءٍ سـريرَةٍ. ولخَّصَ شـاعرٌ آخرُ المنظرَ السِّـلمىَّ الرُّومانسىَّ المحبَّ للحيـاةِ الهادئةِ قائـلًا: (بالأمسِ كانتْ «نفرو رع» تجرِى وَسَـطَ الـورُودِ، ووَجْنتيْهَا وَجبهتهَا صَافيتَـانِ وناعمتَانِ كالذَّهبِ الخَالصِ، كانَ قلبُهَا لا يزَالُ وادِعًا وَهِىَ تبتسِـمُ؛ لمشاهدَةِ طائرِ أبى منجلِ الورْدِىِّ اللَّونِ مُحلقًا فِى السَّماءِ الزَّرْقَاءِ).

تلـكَ هِىَ صورةُ مِصْـرَ القَدِيمَةِ، تلكَ الزهرَةِ النَّوْرانيّةِ الَّتى تشـبهُ نجمَةَ الصَّباحِ فِى فَجْرِهَا.

كانتْ ولا زالتْ وسـتبْقَى إلَى مَا شاءَ الله - سبحَانه وتعَالى - طيورُ السَّلامِ تحطُّ عَلَى أرضِ مصرَ، وتبنى لنفسِهَا العشَّ الدَّافِىءَ.

لأنَّ فِى مصرَ القديمَةِ والحَدِيثَةِ السَّلامَ هُوَ الحَيَاة.

(١٥) الملك وابن آوى يتعانقان فى اتفاق وسلام تلك هى صورة مصر القديمة .

كلمات هيروغليفية

تحية	نينى
قواعد	نت – ع
لطيفا	نجم
إنسانية، المصريين	رمث
لك التحية	هى
ساكنا، مسرورا	هرو
رأفة، رحمة	سف
ترويح عن النفس	سخمخ – اب
حكمة	سسات
أقر السلام	سجرح
ود، ومودة	ست – اب

• مراجـع :

١ – متون الأهـرام المصرية القديمة، ترجمة حسـن صابر، المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومى للترجمة – صورة الفصل ١١٠ الخاصة بحقول السـلام (سـخت – حبت) كتاب الموتى الفرعونى عن بردية آنى لوالس بدج: مكتبة مدبولى.

٢ – السلام مع إيجة صفحة ٧٦ معجم الحضارة المصرية القديمة.

٣ – نصوص مقدسـة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول: كلير لا لويت – مطبوعات اليونسكو، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ترجمة العربية: ما هو جويجانى، المجلد الأول والثانى.

٤ – حقوق الإنسـان فى مصر الفرعونية، د. محمود زناتى، النسـر الذهبى للطباعة.

٥ – كلـير لا لويت، الأدب المصرى القديم، ترجمـة: ماهر جويجاتى، دار الفكر والدراسات.

٦ – المعجـم الوجيز فى اللغة المصرية بالخط الهيروغليفى، برناديت مونى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.